

العهود المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين اللهم فصل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين صلاة وسلاما دائمين متلازمين أبد الآبدين آمين (وبعد) فهذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى وضع مثاله ولا أظن أحدا نسج على منواله ضمنته جميع العهود التي بلغتنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فعل المأمورات وترك المنهيات (وسميته لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية) وكان الباعث لي على تأليفه ما رأيته من كثرة تفتيش الإخوان على ما نقص من دنياهم ولم أرى أحدا منهم يفتش على ما نقص من أمور دينه إلا قليلا فأخذتني الغيرة الإيمانية عليهم وعلى دينهم فوضعت لهم هذا الكتاب المنبه لكل إنسان على ما نقص من أمور دينه فمن أراد من الإخوان أن يعرف ما ذهب من دينه فلينظر في كل عهد ذكرته له في هذا الكتاب ويتأمل في نفسه يعرف يقينا ما أخل به من أحكام دينه فيأخذ في التدارك أو الندم والاستغفار إن لم يمكن تداركه ثم لا يخفى عليك يا أخي أن مجموع أحكام الشريعة ترجع إلى ثلاثة أمور : أمر ونهي ومرغوب فيه لم يصرح الشارع فيه بأمر ولا نهي وإنما رغب في فعله بالثواب أو رهب من تركه بفوات الثواب كالوضوء على الوضوء فإن الترغيب في فعل شيء مؤذن بالرضا عن فاعله كما أن الترهيب من فعل شيء مؤذن بعدم الرضا عن فاعله وإن كان ذلك لم يلحق بدرجة الأمر والنهي الصريحين وعبارة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعد الكبرى اعلم أن كل فعل مدح في نفسه أو مدح فاعله من أجله أو وعد عليه بخير عاجل أو آجل فهو مأمور به لكنه متردد بين الإيجاب والندب اه .

وقد قسمت الكتاب على قسمين : القسم الأول في بيان ما أخل به الناس من المأمورات . والقسم الثاني في بيان ما أخل به الناس من اجتناب المنهيات وإنما بدأت في أول الكتاب بقسم المأمورات وأخرت المنهيات وإن كان الواقعون في المنهيات أكثر عملا بالأصل من حيث أن الطاعات أصلية والمعاصي عارضة وأن كل مؤمن يود أن يطيع الله تعالى ولا يعصي أمره أبدا ولكن الله تعالى في تقديره المعاصي على عبده حكم وأسرار لا تخفى على من في قلبه نور ثم اعلم يا أخي أن طريق العمل بالكتاب والسنة قد توعدت في هذا الزمان وعز سالكها لأمر عرضت في الطريق يطول شرحها حتى صار الإنسان يرى الأخلاق المحمدية فلا يقدر على الوصول إلى التخلق بشيء منها فلذلك كنت أقول في غالب عهود الكتاب وهذا العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك به الطريق ويزيل من طريقه الموانع التي تمنعه عن الوصول إلى التخلق به أو نحو

ذلك من العبارات إشارة إلى أنه لا يلزم من معرفة الفقيه بالأحكام الوصول إلى العمل بها بل يحتاج مع ذلك إلى شيخ يريه معالم الطريق كما وقع للإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبدالسلام وغيره وإنما شيدت كل عهد منه بالأحاديث الشريفة إعلاما لك يا أخي بأن عهد الكتاب مأخوذة من الكتاب والسنة نصا واستنباطا لئلا يطعن طاعن فيها وسد الباب الدس من الحسدة في هذا الكتاب كما وقع لي ذلك في كتاب البحر المورود في الموائيق والعهود الذي جمعت فيه عهد المشايخ التي أخذوها علي فإن بعض الحسدة لما رأى إقبال الناس على تلك العهود وعرف عجزه عن الوفاء بها مع ادعائه المشيخة عمل حيلة واستعار من بعض المغفلين من أصحابي نسخة وأوهمه شدة الاعتقاد في جنابي وكتب منها عدة عهود ودس فيها أمورا مخالفه لظاهر الكتاب والسنة وأشاعها عني في مصر فحصل بذلك فتنة عظيمة في الجامع الأزهر وغيره وانتصر لي الشيخ ناصر الدين اللقاني والشيخ شهاب الدين الرملي وجماعة وأجابوا عني بتقدير صحة ذلك مني وما سكنت الفتنة حتى أرسلت للعلماء نسختي التي عليها خطوطهم ففتشوها فلم يجدوا فيها شيئا مما دسه الحسدة وأشاعوه عني ومن تلك الواقعة ما ألفت كتابا إلا وتعرضت فيه لما دسته الحسدة في كتبي وتبرأت فيه من كل شيء يخالف الكتاب والسنة طلبا لإزالة ما في نفوس بعض الناس لئلا يحصل لهم الإثم بذلك فهذا كان سبب تشييدي لعهد هذا الكتاب بالأحاديث والآثار فإن الحاسد لو دس فيه شيئا يخالف الأحاديث التي أذكرها لا يروج له أثر عند الناس وكيف يستدل مؤلف لكلامه بالأحاديث التي يخالفه منطوقها أو مفهومها هذا أمر بعيد فإني يحفظ هذا الكتاب من مثل ذلك إنه سميع مجيب .

واعلم يا أخي أن رسول الله ﷺ لما كان هو الشيخ الحقيقي لأمة الإجابة كلها ساغ لنا أن نقول في تراجم عهود الكتاب كلها أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أعني معشر جميع الأمة المحمدية فإنه A إذا خاطب الصحابة بأمر أو نهي أو ترغيب أو ترهيب انسحب حكم ذلك على جميع أمته إلى يوم القيامة فهو الشيخ الحقيقي لنا بواسطة أشياخ الطريق أو بلا واسطة مثل من صار من الأولياء يجتمع به A في اليقظة بالشروط المعروفة عند القوم وقد أدركت بحمد الله تعالى جماعة من أهل هذا المقام كسيدي علي الخواص والشيخ محمد العدل والشيخ جلال الدين السيوطي وإضرابهم B هم أجمعين ثم لا يخفى عليك يا أخي أن من شأن أهل الله ﷺ كونهم يأخذون العهد على المرید بتركه المباح زيادة على الأمر والنهي طلب الترقية إذ المباح لا ترقى فيه من حيث ذاته وإنما هو أمر برزخي بين الأمر والنهي جعله الله ﷺ تعالى مرتبة تنفيس للمكلفين يتنفسون به من مشقة التكليف إذ الإقبال على الله ﷺ تعالى في امتثال الأمر واجتناب النهي على الدوام ليس من مقدور البشر فأراد أهل الله ﷺ تعالى للمرید أن يقلل من المباح جهده ويجعل موضعه فعل مأمور واجتناب منهي أو مرغب في فعله أو تركه لأخذهم بالعزائم دون الترخيصات فترى أحدهم يفعل المندوب مع شدة الاعتناء به كأنه واجب ويجتنب المكروه كأنه

حرام ويترك المباح كأنه مكروه ويفعل الأولى كأنه مستحب ويستغفر من فعل المكروه كأنه حرام ويتوب من فعل خلاف الأولى كأنه مكروه ويتوب من ترك المندوب كأنه واجب ومن القوم من يقلب المباح بالنية الصالحة إلى خير فيثاب عليه ثواب المندوب كأن ينوي بأكله التقوي على عبادة الله تعالى أو بنومه في النهار التقوي على قيام الليل عند من لم يصح عنده حديث استعينوا بالنوم في القيلولة على قيام الليل أما من صح عنده هذا الحديث فهو مستحب أصالة لا جعلاً وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي يسمي النوم ورداً ويقول لا أحد يوقظني من ورد النوم حتى أستيقظ بنفسه فعلم أن أهل الله تعالى من شأنهم أن لا يوجدوا إلا في فعل واجب وما ألحق به من المندوب والأولى أو في اجتناب منهي وما ألحق به من المكروه وخلاف الأولى فأياك يا أخي أن تبادر إلى الإنكار عليهم إذا رأيت أحد منهم يأخذ العهد على مرید بتركه المباح وتقول كيف يأخذ العهد على مریده بترك المباح مع أن الشارع أباحه له فإنك في واد وأهل الله في واد وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى بعض أهله عن فعل المباح فنهى فاطمة عنها عن لبس الحرير والذهب مع أنه صلى الله عليه وسلم أباحها لإناث أمته وقال : يا فاطمة من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ونهى أبا عائشة عنها عن الأكل في يوم واحد مرتين وقال لها : أكلتان في النهار إسراف والله لا يحب المسرفين مع أنه صلى الله عليه وسلم أباح لأمته أن يجمعوا كل يوم بين الغداء والعشاء بل هو الأكثر من فعله صلى الله عليه وسلم رحمه بالضعفاء من أمته وقد عمل القوم على نحو ذلك مع المریدين الصادقين فأخذوا المرید بتناوله الشهوات المباحة وبوضعه جنبه إلى الأرض من غير ضرورة وبالأكل من غير جوع وبالنسيان وبالاحتلام وكذلك آخذوه بمد رجله في ليل أو نهار إلا لضرورة إلى غير ذلك ولهم في ذلك أدلة يستندون إليها فأما دليلهم في مؤاخذتهم المرید بأكل الشهوات المباحة فهو كون الحق تعالى نعى أهل النار بأكلهم الشهوات بقوله تعالى { أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون } وقالوا ما نعاه الله تعالى عن أهل النار جزاهم عليه بالعذاب فالمؤمن أولى أن يتركه . وكان عبداً بن مسعود هه يقول في قوله تعالى { فسوف يلقون غيا } هو واد في جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات وأوحى الله تعالى إلى داود E : يا داود حذر وأنذر قومك من أكل الشهوات فإن قلوب أهل الشهوات عني محجوبة اه .

والنوم كذلك بجامع الغفلة والحجاب عن الله تعالى إلا لضرورة وأما دليلهم في مؤاخذتهم المرید بالنسيان فإنه لا يصح وقوعه من المرید إلا بعد تعاطيه مقدمات ذلك الأمر الذي نسيه من الغفلة والتهاون به بدليل ما قاله علماؤنا فيمن نسي الماء في رحله أو أضله فيه فلم يجده بعد الطلب فتيمة صلى أنه يقضي ما صلاه بالتيمم نسيه إلى التقصير في نسيانه وإضلاله وقالوا لو صلى بنجس لم يعلمه وجب القضاء في الجديد وإن علم به ثم نسي وجب القضاء على المذهب والنظائر كثيرة . وكان الشيخ محي الدين بن العربي هه يقول إنما آخذ

القوم المرید بالنسیان لأن مبنی طریقهم علی الحضور الدائم مع □ D والنسیان عندهم نادر والنادر لا حکم له مع أن القاعدة الشرعیة رفع حکم النسیان إلا ما استثنی کتدارک ما نسیه من الصلاة وضمان ما أکله من طعام الغیر بغير إذنہ ناسیا ونحو ذلك ثم لیتأمل ذلك الناسی فی نفسه فی شدة اعتنائها بتحصیل أمر الدنیا وعدم وقوعه فی نسیانه کما إذا وعده شخص بألف دینار یعطيها له فی الوقت الفلان کیف یصیر یتذكر ذلك لحظة بعد لحظة حتی يأتي وقته حرصا علی سحت الدنیا فأراد أهل □ تعالی من المرید أن یقلب تلك الداعیة التي عنده للدنیا ویجعلها لأمر الآخرة لیفوز بمجالسة □ تعالی فی الدارين وأما دلیلهم فی مؤاخذتهم المرید بالاحتلام فلأنه لم یقع منه إلا بعد مقدمات التساهل بالنظر إلى ما لا یحل غالبا أو التفکیر فیہ فلما عجز عن الوصول إليه حال النظر والتفکر أتاه إبلیس فی المنام لیسخر به فإن من لا یطلق بصره إلى محرم ولا یتفکر فیہ لا یحتلم أبدا ولذلك لم یقع الاحتلام إلا من المریدین والعوام دون الأكابر فإن الأكابر إما معصومون كالأنبیاء أو محفوظون كالأولیاء ثم إن وقع أن أحدا من أكابر الأولیاء احتلم فإنما یكون ذلك فی حلیته من زوجه أو جاریه لا فیما لا یحل له وسببه غفلته عن تدبیر جسده لما هو علیه من الاشتغال با □ D أو أمر المسلمین کما بلغنا أن عمر بن الخطاب ه احتلم فی جاریته وقال : قد ابتلینا بهذا الأمر منذ اشتغلنا بأمر المسلمین . وأما دلیلهم فی مؤاخذة المرید بمد رجله من غیر ضرورة فی لیل أو نهار فهو علمهم بأن المرید بین یدی □ D علی الدوام شعر بذلك أم لم یشعر فأرادوا منه أن یواظب علی ترک مد رجله بحکم الإیمان علی أنه بین یدی □ حتی ینکشف حجابہ ویشهد الأمر یقینا وشهودا وهناك یرى ضربه بالسیف أهون علیه من مد رجله لغير حابه بل لو خیر بین مد رجله ودخول النار لاختر دخول النار وقد بلغنا عن إبراهيم بن أدهم ه أنه قال : مددت رجلی باللیل وأنا جالس أقرأ وردی وإذا بهاتف یقول یا إبراهيم ما هكذا ینبغي مجالسة الملوك . قالوا فما مد إبراهيم رجله حتی مات بعد عشرين سنه .

فعلم من مجموع ما قررناه من باب أولى أن أهل □ D لا یسامحون المرید بارتکابه شیئا من المكروهات فضلا عن المحرمات الظاهرة أو الباطنة وأن طریقهم محررة علی موافقة الكتاب والسنة کتحریر الذهب بخلاف ما یظنه من لا علم له بطریقهم وقد أجمع أهل □ تعالی علی أنه لا یصح دخول حضرة □ تعالی فی صلاة وغيرها إلا لمن تطهر من سائر الصفات المذمومة ظاهرا أو باطنا بدلیل عدم صحة الصلاة لمن صلی وفي ثوبه أو بدنه نجاسة غیر معفو عنها أو ترک لمعه من أعضائه بغير طهارة ومن لم یتطهر كذلك فصلاته صورة لا روح فیها لا حقیقیة کما أن من احتجب عن شهود الحق تعالی بقلبه فی لحظة من صلاته بطلت صلاته عند القوم كذلك وقد نبه الشارع A باشتراط الطهارة الظاهرة علی اشتراط الطهارة الباطنة فأراد أهل □ تعالی من المرید أن یطابق فی الطهارة بین باطنه وظاهره لیخرج من صفة النفاق فإن المنافقین فی

الدرك الأسفل من النار وفي حديث مسلم مرفوعا أن ﷻ تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى
أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم و كذلك أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيئا
يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة ﷻ تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب
ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولا شك أن علاج الأمراض الباطنية من حب الدنيا والكبر
والعجب والرياء والحسد والحقد والغل والنفاق ونحوها كله واجب كما تشهد له الأحاديث
الواردة في تحريم هذه الأمور والتوعد بالعقاب عليها فاعلم أن لك من لم يتخذ له شيئا
يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاص ﷻ تعالى وللرسول A لأنه لا يهتدي لطريق العلاج
بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب في العلم فهو كمن يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف ينزل الدواء
على الداء فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول أنه طبيب عظيم ومن رآه حين يسأل عن اسم
المرض وكيفية إزالته قال إنه جاهل فاتخذ لك يا أخي شيئا واقبل نصحي وإياك أن تقول طريق
الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنه فإنه كفر فإنها كلها أخلاق محمدية سداها ولحمتها منها
واعلم أن كل من رزقه ﷻ تعالى السلامة من الأمراض الباطنية كالسلف الصالح والأئمة
المجتهدين فلا يحتاج إلى شيخ بل الإنسان على نفسه بصيرة فأمعن يا أخي النظر في هذه
الخطبة والكتاب واعمل به فإنك إن شاء ﷻ لا تضل ولا تشقى والحمد ﷻ رب العالمين ولنشرع
بعون ﷻ تعالى في مقصود الكتاب فنقول وبإﷻ التوفيق . القسم الأول من الكتاب وهو قسم
المأمورات